

أكذوبة غيفارا... من يصدقها؟

بين بيتر تيربسترا

موقع قضايا أمن الأسرة

7 أكتوبر 2009

Che Lied, Artists Fried

By Ben-Peter Terpstra

Family Security Matters Website

ترجمة: علي الحارس

بين بيتر تيربسترا

صحافي أسترالي ساخر
تنشر مقالاته في
أمريكا وأستراليا.

في عدد (29 أكتوبر 1967) من صحيفة هاي بوينت انتربرايز (High Point Enterprise) وصف الكاتب تير هوست (J.F. Ter Host) ارنستو تشي غيفارا بأنه «البطل الشعبي الجديد للييسار الأمريكي الجديد»، وكتب كذلك عن «حركة منسقة لتخليد

تشي باعتباره شهيدا حريا بالمحاكاة»، وما كان هذا ليكون لولا ما يدعى بالمنشورات السرية، والمتطرفين المزيفين (طلاب الجامعات من الطبقة البرجوازية العليا)، والمال.

واستطرد تير هوست قائلاً:

إن طائفة تشي غيفارا لا يديرها مجموعة من أنصار اللاعنف المعتدلين والمسالين حسني النية. بل إنها طائفة قاسية ومتعجرفة كما كان غيفارا. وهي تفضل أن ترى ثورة عنيفة تطيح بالحكومة الأمريكية. لقد مضى أوان الظن بأن نوعا من الإصلاح الوطني قد يتحقق من خلال الاحترام الذي حظي به الرئيس الراحل جون كينيدي والأمل التالي الذي مثله أخوه بوبي. إذ تبين في ما بعد أن الأخوين كينيدي كانا مفرطين في إخلاصهما.

بكلمة واحدة، كان غيفارا (مسليا). واليوم تجد اليساريين يرتدون صورته بفضل مصانع التيشيرت ذات ظروف العمل المزرية التي يعمل فيها الأطفال. كما إن هنالك أفلاما تصور ذلك الشيوعي الغني الملتحي باعتباره شخصا محبوبا أنهكته الحرارة فتساقط منه العرق. إن طائفة غيفارا مبنية على أساس ثقافة البوب. أو كما تنبأ تير هوست محققا من قبل:

أكذوبة غيفارا... من يصدقها؟

الآن وقد مات غيفارا. فإن فظائعه يمكن أن تتغاضى العين عنها وأن تنظر إليه وكأنه القديس جورج الشيعوي الذي لم يرغب إلا بتحرير الجماهير من التتبع الامبريالي.

ترى ما الذي أغضب هذا الأرجنتيني الناقم؟ لك أن تخمن؛ ولكن جدتي الأرجنتينية كانت أكثر فقرا منه. ولكنها لم تغضب غضبا شديدا كغضبه (إلا في مرة واحدة حينما حاول أخي أن يعبر الشارع دون النظر إلى حركة السير). بعيدا عن الاستطراد فإنني أعتقد اليساريين الجدد كانوا يبحثون دائما عن بطل ما؛ فالشيوعيون القدماء كان لديهم ستالين بشاربه الكبير. والنازيون القدماء محبو الضرائب (القوميون الاشتراكيون) كان لديهم هتلر بشاربه الصغير. ومن هنا قد يكون طلاب الجامعات من محبي التسلية قد اختاروا بطلا نحيفا ذا لحية. ولولا ذلك لم يكن إلا كغيره من طلاب الجامعة كثيري الصراخ والأموال والمزاجات.

في 10 أكتوبر 1967 كتب سولزبيرغر (C.L. Sulzberger) في صحيفة نيويورك تايمز قبل أن يتوفر تأكيد رسمي لوفاة غيفارا:

بوينس آيرس. الأرجنتين: لا يمكن للمرء أن يمنع نفسه من الإعجاب بشجاعة ومثابرة تشي غيفارا أبرز ثوار الأرجنتين منذ خوسيه دي سان مارتين. لقد اختفى غيفارا حاليا مع مقاتليه في الأدغال البوليفية. إنه شيوعي متعصب من المدرسة الكوبية-الصينية الناشطة وقد ذهب إلى بوليفيا أساسا من أجل التحريض على اندلاع ثورة مسلحة. وباستخدامه لأسماء حركية مختلفة مثل رامون وفيراناندو. وتجوله باستخدام أنماط تنكر مختلفة ومجموعة متنوعة من الوثائق المزورة فإنه يعتبر من المتأمرين الماكرين.

... وهو يكره الولايات المتحدة الأمريكية على نحو يفوق كره سان مارتين لاسبانيا الامبريالية. وهو ينحدر. كما كان سان مارتين. من أسرة ثرية في ريف الأرجنتين؛ وقد تلقى تعليما جيدا أهله لأن يكون طبيبا قبل أن يختص في الثورة.

أكذوبة غيفارا... من يصدقها؟

هنا لا يمكن للمرء أن يمنع نفسه أيضا من الشعور بأن سولزبيرغر وزملاؤه في وسائل الإعلام الكبرى قد أفرطوا في الإشادة بهذا الإرهابي. ولكي نكون عادلين تماما، فإن صحيفة نيويورك تايمز قامت أيضا بتمجيد موسوليني لإنجازاته الاشتراكية. كما إن وسائل الإعلام هذه لا يمكنها مقاومة إبداء الإعجاب بشجاعة ومثابرة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت على الرغم من أنه وقف ضد مشروع الجمهوريين المعارض للإعدام الغوغائي¹. ففي نهاية الأمر: كان روزفلت من اليسار. ومن هنا، لم يكن غيفارا غيبا عندما اعترف في النهاية أن «وجود صحفي أجنبي، والأفضل أن يكون أمريكيا، كان أكثر أهمية لدينا من تحقيق انتصار عسكري».

في الحياة اليومية لا يوجد فارق كبير بين كاتب مقالات الرأي في الصحف والهيبيز إلا إذا كنا نتكلم عن اللحية. ولكن كانت هنالك فجوة كبيرة بين البوليفيين الفقراء والمستعمرين الجدد، أو ما يعرفون بالشيوعيين؛ وهذا ما تذكرنا به دائما تقارير غيفارا نفسه الذي قال يوما: «لم ينضم إلينا فلاح واحد». وربما كان سبب ذلك أن الفلاحين لم يلقوا بالا لهؤلاء الشيوعيين المتعطشين للنفط.

من الواضح أن تأسيس طائفة ذات شعبية يستفيد من تعاليم ناشطي المدرسة الكوبية الصينية، ولكن الدموية أمر مطلوب هاهنا، وقد أثبت غيفارا بأنه «رجل حقيقي» من خلال إعدامه لطفل دون محاكمة (تبين أن الطفل الجوعان سرق بعض الطعام). كما أظهر غيفارا رجولته أيضا من خلال الزحف نحو هافانا مع كاسترو وما قام به إبان ذلك من إعدامات جماعية داخل سجنين كبيرين.

إننا نعلم بأن غيفارا كان ثوريا أصيلا لأنه عاش في بيئة تنعم بالرخاء، أو بعبارة أكثر أدبا: لأن الشيوعية لم تصنع للشيوعيين. وبفضله تحولت كوبا إلى الجزيرة السجن بنظام رعاية صحية شديدة الجودة إلى حد يجعل الآلاف يخاطرون بحياتهم بين الأمواج العاتية وأسماك

(1) الإعدام الغوغائي (Lynching): إعدام المتهمين بواسطة الحشود والغوغاء دون المرور بالإجراءات القانونية المرعية. (المترجم)

أكذوبة غيفارا... من يصدقها؟

القرش الجائعة للوصول إلى فلوريدا الامبريالية. وبنهاية سبعينات القرن العشرين أصبحت كوبا (الحمراء) وطننا لأكثر من 15 ألف سجين رأي، بدءا من الشعراء وانتهاء بالمتدينين، أو بعبارة أدق: كل مواطن حر التفكير لم يسعفه الحظ بالهرب.